سلطة اللغة وتشكل الأنساق الثقافية في المجتمع العربي

أ.د. أحمد حساني

توطئة:

إنَّ الانصراف إلى تشخيص الواقع اللغوي والثقافي في مجتمع ما لهو شعور عميق بضرورة البحث عن العناصر الفاعلة في سيرورة الأنساق الاجتماعية والثقافية، تلك العناصر التي لا يمكن لها أنْ تحقق حضورها في بنية المجتمع بمعزل عن سلطة النسق اللغوي بكل أبعاده اللسانية، ورواسبه الثقافية والحضارية.

ومما لا يرتاب فيه أحد هو أنَّ تشكل الأنساق الثقافية في المجتمع البشري يعد أصفى صورة لسلطة اللغة بقيمها الداخلية (القيم المنطقية) وبشرعيتها الخارجية(الشرعية السياسية والمؤسسية)، وإذا كان الأمر كذلك فإنَّ مقاربة تفاعل الأنساق اللغوية والثقافية أضحت مرتكزًا بينيًا (لسانيًا واجتماعيًا) في الخطاب المنجز في الثقافة اللسانية المعاصرة.

تسعى هذه الورقة البحثية التي نحن بسبيلها، حينئذ، إلى إيجاد إجابات علمية كافية لكثير من الأسئلة الاستراتيجية الفاعلة في شأن تشكل الأنساق اللغوية والثقافية، وهي الأسئلة التي ما فتئت تشغل بال اللسانيين وعلماء الاجتماع على حد سواء، والتفكير في الآن نفسه في تهيئة الأرضية معرفيًا ومنهجيًا لإمكانية وجود آليات لسانية - اجتماعية بينية للنهوض بدراسة الأنساق اللغوية والاجتماعية والثقافية في المجتمع اللغوي العربي.

أولا: الأسس والمنطلقات

يكون خليقا بنا أنْ نشير منذ البدء إلى أنَّ الصلة بين الأنساق اللغوية والأنساق الثقافية تعد ظاهرة إنسانية ما فتئت تسهم في تشكل المرتكزات الحضارية في سيرورة التاريخ البشري، إذ أمسى التفاعل بين الأنساق اللغوية والثقافية والاجتماعية مركز استقطاب في البناء الحضاري للإنسان، وما برح يتعزز هذا التفاعل بمنجزات الفكر الإنساني، وبترقية خبرته وتحديثها باستمرار لمواكبة المتغيرات الحضارية والثقافية التي يشهدها المشروع النهضوي للأمم عبر تاريخها الطويل.

ومن ههنا فإنَّ نظرة عجلى في المسار التحولي للحضارات الإنسانية عبر مسارها التاريخي تهدي بكل يسر إلى أنَّ المضامين الثقافية،والقيم الحضارية للأمة المتجانسة بروافدها ومقوماتها تنتقل من جيل إلى جيل بواسطة الأنساق اللغوية والثقافية في حركتها عبر الزمن، تلك الحركة التي تستمد قوتها من بنية اللغة نفسها التي تستحيل إلى سلطة فاعلة تقود المجتمع اللغوي نحو الأفضل، ليخلد معتقداته الروحية،ويؤسس منجزاته الفكرية والثقافية، وليسلك سبيله الحضاري المتوخى.

ومما لا يغرب عن أحد هو أنَّ المقومات اللغوية في كيان الأمة تعد رافدًا لأي حركة نهضوية في المجتمع،مهما كانت التركيبة البشرية لهذا المجتمع، ولا يمكن لأي مجموعة بشرية أنْ تحقق أهدافها الإستراتيجية على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي بمعزل عن لغتها الوطنية؛ لأنَّ نهضة الأمم عبر تاريخ الإنسانية الطويل رافقتها نهضة لغوية .

أضحت الأنساق اللغوية والثقافية حينئذ قوة فاعلة لها حضور في الحركة النهضوية للمجتمع بكل روافده ومكوناته البشرية والمؤسسية، ومن ثمة فإنَّ تشكل الأنساق الثقافية لا يمكن أنْ يتحقق خارج النسق اللغوي، سواء أكان هذا المجتمع أحادي اللغة أم متعدد اللغات والثقافات، فالمنجز الثقافي بأنماطه المختلفة ناتج لغوي ليس إلا.

وإذا كان النسق اللغوي نشاطًا اجتماعيًّا وثقافيًّا يرافق سيرورة الأنساق الاجتماعية والثقافية،ويسهم في حركيتها عبر الزمان والمكان، فإنَّه يشكل في الوقت نفسه، مكونات الوعي الثقافي لمجموعة بشرية معينة تُكَوِّنُ مجتمعًا له خصوصيات ثقافية وحضارية متجانسة.

ولذلك فإنَّ أدنى تأمل في المسار التحولي للغات والثقافات عبر الحقب الزمنية المختلفة يهدي بكل يسر إلى أنَّ النسق اللغوي ما انفك

يُتَّخَذُ وسيطًا لفهم الأنساق الثقافية في المجتمع البشري، وما كان ذلك إلا لأنَّ تشكل الأنساق الثقافية لا يمكن له أنْ يتحقق خارج سلطة اللغة،تعد هذه العلاقة بين الأنساق اللغوية والأنساق الثقافية مرتكزًا حضاريًّا ما فتئ يسهم في البناء الحضاري للإنسان. ومن ههنا أضحى تاريخ المجتمع البشري لا ينفصل عن تاريخ لسانه وثقافته.

وتأسيسًا على هذا التصور لحضور النسق اللغوي في تشكل الأنساق الثقافية في المد الحضاري للمجتمع البشري فإنَّ اللغة العربية، بالنظر إلى بعدها الحضاري والنهضوي والتداولي الآني، أمست مقومًا أساسًا في المشروع النهضوي للأمة العربية الذي يعد نهضة لغوية في أصفى صورة لها،ومن ههنا يصبح النهوض باللغة هدفًا أساسًا لا يقل عن الأهداف السياسية والاقتصادية للأمة.إذ إنَّ " اللغة العربية هي أبرز مظاهر الثقافة العربية، وأكثرها تعبيرًا وأثرًا بوصفها وعاء الوجدان القومي، فلا ثقافة قومية بدون لغة قومية ". (١)

وفي هذا الصدد يرى بعضهم أنَّ " حركية اللغة العربية وحيويتها مرتبطة بكيفية تدبير المسألة اللغوية من الداخل والخارج، أي البحث عن التوازنات اللغوية التي تجعل اللغة العربية في المركز الأول الذي يُدعم باستثمار الازدواجية والتعددية الاستثمار الأمثل، ويؤسس للسّلم اللغوي المبني على سياسة لغوية واعية وهادفة، وتخطيط لغوي محكم، واستعداد لغوي داخلي وخارجي يجعل العربية لغة المعرفة التكنولوجية ولغة التنمية". (٢)

ثانيا: سلطة اللغة بين النسق الداخلي والتأطير الخارجي:

منذ البدء نقول إنَّ السلطة اللغوية نوعان:

أ- سلطة داخلية: نعني بها الضوابط والقواعد التي تشكل النسق العرفي للغة، ومنطقها الداخلي المعزز بالرواسب الثقافية والحضارية الكامنة التي تتحكم في آليات الاستعمال اللغوي،وأنماط التفكير وإنتاج المفاهيم والتصورات.

ب- سلطة خارجية: نعني بها السلطة المؤسسية التي يكرسها النظام السياسي بجميع تنظيماته الدستورية والمدنية، ومؤسساته الاستراتيجية، وقراراته السيادية التي تتجسد في السياسة اللغوية للمجتمع، فالسياسة اللغوية حينئذ هي مجموعة من القرارات تُتخذ على مستوى سلطة محلية، أو منظمة إقليمية أو دولية، بناء على وضع لغوي معين من أجل الحفاظ عليه، أو تغييره ليتماشى مع المشروع النهضوي للمجتمع . (٣)

منذ أنْ كان الإنسان كانت الكلمة من حيث هي وحدة النسق اللساني عند البشر،فأضحت الكلمة من ههنا وحدة لسانية وسيميائية في الآن نفسه تنتمي إلى الأنساق النطقية / السمعية حينًا، وإلى الأنساق المرئية أحيانًا أخرى. وبين السمع والبصر كان وعي الإنسان بكل تجلياته الروحية والعقلية.

أمست سلطة الكلمة سلطة قاهرة قد ترقى بالإنسان إلى مراتب الإنسانية في رقيها وسموها، وقد تنزل به إلى الحضيض ليعيش في الدرك الأسفل، ومن ههنا اكتسب النسق اللساني سلطته من جهة، وقدسيته من جهة أخرى، وظل يرافق البناء الحضاري للإنسان في مساره التاريخي الطويل، ويؤطر منجزاته الروحية والمادية ويخلدها، وينمي وعيه الثقافي والحضاري،ويضفي عليه إنسانيته التي ما كانت لتكون لولاه.

وتأسيسًا على ما أومأنا إليه فإنَّ النسق اللساني مابرح يمارس على الإنسان قوة حضورية،وهي قوة قهرية فاعلة تمارس في اللاوعي سلطتها التي تجعل الإنسان يخضع لها خضوعًا قهريًّا، وقد يتوهم الإنسان أنَّه حر في ممارسة سيادته على اللغة، يقول Jean-Jacques Lecercle في هذا الشأن:: "عندما يتكلم الشخص تكون اللغة دائمًا هي التي تتكلم". (٤)

وإذا كانت اللغة كذلك فإنَّها تنتقل من الوسيلة في عرف البشر لتحقيق التواصل بين أفراد المجتمع اللغوي إلى الفعل المنجز في الواقع العيني في حياة البشر، فاللغة "سلطة في ذاتها (...) فالإنسان يفعل بها الفعل على الناس، وكثيرًا ما لا يكون واعيًا بسلطتها ولا بخطرها"(٥)

ولذلك فإنَّ اللغة ليست وسيلة اصطنعها المجتمع البشري لأغراض نفعية منها التواصل فحسب، بل هي القوة الكامنة وراء الأفعال المنجزة تلك الأفعال التي واكبت المسار التحولي للحضارة الإنسانية، وما فتئت تؤطر المنجزات الفكرية والثقافية، فشكلت رواسب في

الأنساق اللسانية والثقافية على اختلاف البيئات الحضارية والعرقية التي تنتمي إليها .

إنّ كانت اللغة جهازًا من المفاهيم والتصورات فهي في الوقت نفسه مؤسسة قانونية،تتبدى هذه المؤسسة في نسق محكم من الضوابط والقواعد التي تضفي على اللغة هيبتها وسلطتها، وإذا كانت هذه السلطة لا تُدْرَكُ بالحس، فهي تمارس فعلها القهري في أذهان المتكلمين – المستمعين الذين يحققون هذه السلطة في الواقع الفعلي للخبرة الإنسانية عن طريق الاستعمال الفعلي للكلام.

يقول عبد السلام المسدي في هذا السبيل الذي نحن في شأنه: " إنَّ لكل لغة من لغات البشر قوانين تنتظمها وتشدُّ أوصالها بحبل متين لا تراه العيون المجردة كالأسلاك المعدنية التي تتخلل الأسمنت المسلح، وتصبح تلك القوانين أعرافًا يتخاطب بها أفراد المجموعة المنتسبين إليها بشكل أصلي أو بشكل طارئ".(٦)

عندما يمارس الإنسان العملية التلفظية بوعي أو دون وعي فإنَّه يعلن خضوعه لسلطة كامنة في اللاشعور تسلبه إرادته وحريته الوهمية، لأنَّ اللغة " تنطوي على علاقة استلاب قاهرة ، ليس النطق أو الخطاب بالأحرى، تبليغًا كما يقال عادة، إنَّه إخضاع، فاللغة توجيه وإخضاع معمِّمان " .(٧)

وكان رولان بارت أومأ إلى هذه السلطة القاهرة التي تمارسها اللغة على الإنسان بعبارة أوضح قائلا:" اللغة سلطة تشريعية اللسان قانونها، إنَّنا نلحظ السلطة التي ينطوي عليها اللسان، لأنَّنا ننسى أنَّ كل لسان تصنيف، وأنَّ كل تصنيف ينطوي على نوع من القهر ORDO تعني في ذات الوقت التوزيع والإرغام". (٨)

ومن ههنا فإنَّ الإنسان لا يشعر بالحرية المطلقة إلا خارج النسق اللغوي بيد أنَّ النسق اللغوي لا خارج له على الإطلاق. ويكون حريًّا بنا أنْ نستحضر في هذا المقام قول رولان بارت في سياق حديثه عن لغة الخطاب الأدبي، إذ يقول: " في اللغة إذن خضوع وسلطة يمتزجان بلا هوادة، فلا مكان للحرية إلا خارج اللغة بيد أنَّ اللغة البشرية من سوء الحظ لا خارج لها إنَّها انغلاق، ولا محيد لنا عنها إلا عن طريق المستحيل،(...)لا يتبقى لنا إلا مراوغة اللغة وخيانتها، هذه الخيانة الملائمة وهذا التلاعب والهروب، هذه الخديعة العجيبة التى تسمح لنا بإدراك اللغة خارج سلطتها في عظمة ثورة دائمة للغة. هذا هو ما أطلق عليه أدبًا ".(٩)

تكمن سلطة اللغة في القوة القهرية و إنجاز اللامتناهي الذي يفوق قدرة البشر، فهي كما يرى (HUMBOLDT) (١٠): " استعمال غير متناه بوسائل متناهية".(١١) بيد أنَّ اللغة قد تتجاوز سلطتها بالخطابات المضللة والبراهين الخاطئة (القياسات الخاطئة) (Paralogisme) فللغة قدرة خارقة على التضليل والمغالطة، ولذلك فإنَّ اللغة كما يرى السوفسطائيون قادرة على ألا تقول شيئًا وأنْ تنتج اللامعنى، وأنْ تُوجِدَ عن طريق الكلمات ما لا يوجد في الواقع (١٢).

وتأسيسًا على ما أومأنا إليه فإنَّ النسق اللغوي بسلطته الداخلية والخارجية له حضور فعَّال في تشكل الأنساق الاجتماعية والثقافية، وهو يستمد قوته الحضورية من الرواسب الثقافية والحضارية التي يتضمنها من جهة، ومن الدعم السياسي والمؤسسي من جهة أخرى.

ثالثا: النسق اللغوي والنسق الثقافي: التنوع والاختلاف.

إنَّ الذي يروم الدلالة المعجمية والسياقية لمنطوق النسق ومفهومه(١٣)، يهتدي إلى أنَّ المدخل المعجمي(نسق) يدل في اللسان العربي على النظام والانتظام، فالنسق من كل شيء:ماكان على طريقة نظام واحد، عام في الأشياء . ويقول ابن سيدة نَسَقَ الشيءَ يَنْسُقُهُ نَسْقًا، ونسَّقَهُ نظّمَهُ(...) وقد انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي تَنَسَّقَتْ (...)والنحويون يسمون حروف العطف حروف النسق، لأنَّ الشيء إذا عطفت عليه شيئًا بعده جرى مجرى واحدًا(...) ونَسَقُ الأسنانِ: انتظامها في النَّبْتَةِ وحسن تركيبها (...) والنسق ما جاء من الكلام على نظام واحد.(١٤)

أضحى مفهوم النسق في الثقافة الاصطلاحية العربية المعاصرة مكافئًا (١٥) لمصطلح (Système/ System) في الإنجليزية والفرنسية وهو مشتق من أصل تأثيلي للكلمة اليونانية القديمة sust□ma التي تدل على معنى التنظيم، أو المجموع (الكل)، وهي بدورها مشتقة من الفعل sunist□mi بمعنى أسَّسَ، أو أنشأ علاقات. (١٦)

ويدل مصطلح النسق (Système/ System) في الألسنة الهندو – أوروبية المتفرعة عن اليونانية(١٧)القديمة واللاتينية بشكل عام

على "وضع أشياء بعضها مع بعض في شكل منظم منسق". (١٨) ومن ثمة أمسى النسق يرتبط بمعنى الأشياء المنظمة وفق علاقات وقوانين ثابتة تربط الأشياء بالكل الذي يحتويها.

وقد يدل مصطلح النسق (كما يرى بعضهم)على مفهومين اثنين أحدهما عام والآخر خاص؛ أمَّا العام فهو بمعنى جملة من العناصر مادية، وغير مادية يتبادل بعضها مع بعضها الآخر، فإذا هي تُشَكِّلُ كلاًّ عضويًّا كالنظام المدرسي والجهاز العصبي مثلاً.

وأما الخاص فهو بمعنى مجموعة من أفكار علمية أو فلسفية ترتبط منطقيًّا من حيث تماسكها لا من حيث حقيقتها". (١٩)

كما يُعَرِّفُهُ بعضهم على أنَّه مجموعة من العناصر لها نظام معين يدخل بعضها في علاقات مع بعضها الآخر لكي يؤدي وظيفة معينة(٢٠)

وبصورة عامة يمكن لنا النظر إلى النسق حسب الحالات الآتية:

١ - مجوع أجزاء الكل أو عناصره.

٢ - علاقات وتفاعلات قائمة بين هذه العناصر.

٣ - هذه العناصر تعمل معًا لكي تؤدي وظيفة معينة.

٤ - النسق يختلف مستوى تعقيده Level of Complexity، ودرجة شموليته (من الاتساع إلى الضيق)، فقد تكون وحداته كبيرة العدد أو محدودة.(٢١)

هناك أربعة مفاهيم أو مُحَدِّدَات لها صلة بمفهوم النسق:

١ - التفاعل(Linteraction): التفاعل الداخلي والخارجي، نعني بالتفاعل الداخلي تفاعل الأنساق الفرعية المكونة للنسق الشمولي. ونعني بالتفاعل الخارجي تفاعل النسق مع أنساق أخرى تشاركه في حواليته (Lenvironnement) الاجتماعية والثقافية، كالتفاعل بين النسق اللغوي والنسق الثقافي في المجتمع الواحد.

٢ - الكلية أو الشمولية (Totalité ou Globalité): النسق هو كل شمولي يتكون من عناصر منتظمة غير قابلة للاختزال.وذلك ما أكَّده هيجل (٢٢) بقوله: إنَّ " المعنى الحقيقي للنسق هو الشمول الكلي، وذلك وحده هو النسق الحق". (٢٣)

٣ - التنظيم (Lorganisation): مفهوم التنظيم مفهوم جوهري في بناء النسق، فهو ترتيب الكل اعتمادًا على توزيع عناصره المنتظمة في مستويات هرمية.

٤ - التعقيد (Complexité): النسق معقد في كيانه البنائي.

هناك ثلاثة عوامل تتعلق بهذا التعقيد:

١ - درجة عالية من التنظيم.

٢ - صعوبة تحديد عناصره.

٣ - عدم اليقين في علاقته بالبيئة. (٢٤)

وبعد ما أسلفنا ذكره من حدود وتعريفات يمكن لنا أنْ نتمسك في هذا السبيل الذي نحن بشأنه بحد النسق الشائع في المعارف الإنسانية، فهو حينئذ كل شمولي يتكون من عناصر أو وحدات متفاعلة فيما بينها، لكي تؤدي وظيفة معينة. ويسهم كل منها بوزن معين حسب أهميته ودرجة فاعليته داخل الكل (النسق). (٢٥)

و ما لا يماري فيه أحد هو أنَّ العلاقات بين مكونات النسق (العناصر النسقية الفاعلة) علاقات متشابكة ومطردة، فأضحى التفاعل بين هذه المكونات خاصية نسقية، إذ تغتدي انتظامًا ثابتًا في سيرورة النسق للحفاظ على بنائه المحكم. ولذلك فإنَّ مكونات الأنساق الاجتماعية والثقافية واللغوية تتفاعل باستمرار وتتقاطع، ويؤثر بعضها في كيان بعضها الآخر، وهذا التفاعل والتقاطع هو الذي يضبط

انتظامها، ويعزز نسقيتها ويُفَعِّلُ سيرورتها باستمرار.

وتأسيسًا على ذلك فإنَّ النسق في حقيقة أمره كلٌّ شمولي يحتوي العلاقات الوظيفية بين عناصره (مكوناته)، فتغير مادة العنصر لا يؤثر في بناء النسق؛ لأنَّ العلاقة الوظيفية التي تربط العنصر بالنسق لم تتغير. ويضرب لنا دي سوسير (Ferdinand De Saussure) (١٨٥٧ -١٩١٣) مثلا بلعبة الشَّطرنج (Jeux dechec) (٢٦) حيث شبه النسق اللساني بنسق لعبة الشَّطرنج التي تحكم عناصرها قوانين ثابتة، فقيمة العنصر تتحدد في وظيفته داخل النسق، وليس في ذاته، إذ إنَّ نسق اللعبة لا يتغير بتغير مادة عناصرها، إذا استبدلنا قطعة عاجية بقطعة خشبية يظل نسق اللعبة قائمًا ولا يتأثر بالتغير المادي لوحدات اللعبة.

يحتوي النسقُ اللغوي بمكوناته الصوتية والتركيبية والدلالية الأنْسَاقَ الأخرى التي لها صلة بالإنسان (النسق الاجتماعي والثقافي)، ويختزلها في نسق سيميائي دال(نسق من العلامات)، تلك العلامات التي تصبح بدائل عن الواقع الطبيعي والاجتماعي والثقافي.

ومن ههنا فإنَّ " ما يحكم العلاقة بين العناصر اللسانية ومستوياتها، ويربط بعضها ببعض هو ما يطلق عليه النسق، وإن أي اختلاف في هذه العلاقة بين العناصر تفقد النسق توازنه،وتغير معالمه"(٢٧)

وتأسيسًا على هذا التصور للنسق فإنَّ التغيرات والتحولات التي يمكن أنْ تظهر داخل كيان النسق نفسه ليست اعتباطية، بل هي معطى من معطيات الآلية التنظيمية للنسق؛ أي قوانينه الداخلية،فمكونات النسق تعيد تنظيم نفسها باستمرار حفاظًا على وحدة النسق واستمرارية سيرورته. "فالنسق نظام ينطوي على استقلال ذاتي، يشكل كلاً موحدًا، وتقترن كليته بآنية علاقاته التي لا قيمة للاجزاء خارجها." (٢٨) فالوحدات التي يتكون منها النسق" ليست مجرد تراكمات عرضية تلتقي مصادفة، بل تتمتع بتنظيم ذاتي يحفظ كيانها في سيرورة بناء النسق". (٢٩)

إنَّ تداخل الأنساق في النسق الواحد خاصية من خصائص انفتاح النسق على الأنساق الأخرى فهو حينئذ " نسق تتمايز بداخله أنساق أخرى بحيث يمكن الربط بين علاقات المدخلات – المخرجات داخل النسق". (٣٠)

٢- تشكل الأنساق الثقافية.

أول تعريف أنثروبولوجي للثقافة كان على يد الأنثروبولوجي الانجليزي Tylor(٣١) في كتابه: الثقافة البدائية ١٨٧١ Primitive Culture

الثقافة في نظره:"... ذلك الكل المركب الذي يضم المعارف والمعتقدات والفنون والأخلاق والقانون والعرف، وكل المقدسات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع معين". (٣٢)

هناك اتجاهان شائعان في تعريف الثقافة :

- الاتجاه الأول: ينظر إلى الثقافة على انها تتكون من القيم والمعتقدات والمعايير والرموز والأيديولوجيات وغيرها من المنتجات العقلية.
- الاتجاه الثاني: يربط هذا الاتجاه الثقافةَ بنمط الحياة الكلي لمجتمع ما، والعلاقات التي تربط بين أفراده، وتوجهات هؤلاء الأفراد في حياتهم .

يمكن لنا أن نستمد من هذين الاتجاهين ثلاثة مفاهيم:

الأول: التحيزات الثقافية: تشمل القيم والمعتقدات المشتركة بين الناس .

الثاني: العلاقات الاجتماعية: تشمل العلاقات الشخصية التي تربط بين أفراد المجموعة الثقافية المتجانسة .

الثالث: أنماط أو أساليب الحياة: وهي الناتج الكلي المركب من الانحيازات الثقافية والعلاقات الاجتماعية.

تشكل هذه العناصر النسق الكلي الشمولي للثقافة. (٣٣)

من ههنا فإنَّ النسق الثقافي لمجموعة بشرية معينة يشكل المنجز الفكري لتلك المجموعة، ويجسد تصوراتها واعتقاداتها وتقاليدها

وأعرافها، هذا الكل الشمولي الذي يتبدى في نسق من العلامات والرموز. فالثقافة " تبدو بناء على هذا التصور في شكل سلوك رمزي أو إشاري مشترك بين أفراد المجتمع، وبفضل هذا السلوك، ومن خلاله يستطيع هؤلاء الأفراد التواصل والتفاعل، فيشعرون بأنهم يكونون كيانًا متميزًا يسمى مجتمعًا أو جماعة". (٣٤)

وتأسيسًا على هذا التصور فإنَّ الثقافة تعكس القدرة الإنجازية لدى الفرد الذي ينتمي إلى مجتمع له خصائص ثقافية وحضارية متجانسة، تلك القدرة التي تحقق التواصل الاجتماعي والثقافي وتعززه، باعتماد نسق من العلامات والرموز التي تكون النسق السيميائي لثقافة بعينها، وما كان ذلك كذلك إلا لأنَّ النمط الثقافي لا يعدو أنْ يكون " مجموعة من نماذج التصرف التي يتعلمها الإنسان، والتي نشأت ونمت عن طريق استخدام الرموز، وتستمد وجودها منها منذ أنْ أصبح الإنسان قادرًا على الترميز، وبعد أنْ أصبح قادرًا على إعطاء معان ودلالات معينة للظواهر المادية".(٣٥)

إنَّ الاهتمام بدراسة الأنساق اللغوية داخل الثقافة يمنح الثقافة معناها الجوهري ، لا المعنى الظاهر المزيف، لأنَّ النسق اللغوي داخل الثقافة لايمكن الاستغناء عنه، لأنَّه أيديولوجيا، ولأنَّه وحده الذي يؤسس للاتصال الجمعي، ويؤطر لنظام الخطاب داخل الثقافة، فوحدها إذن المقاربة اللغوية الثقافية تسمح بفهم أعمق للأنساق اللغوية بماهيتها المزيفة المعلنة،وبايدلوجيتها الحقيقية المضمرة" (٣٦) "فالنسق الثقافي مجموعة من القيم المتوارية خلف النصوص والخطابات والممارسات."(٣٧)

ينتمي المنجز الثقافي الإنساني إلى الأنساق السيميائية الدالة، (الأنساق السمعية والمرئية) التي تشكل شبكة من العلامات تنتظم في أنساق متعددة (الطقوس العادات والتقاليد والأعراف والأساطير والفلكلور والفنون)، ويعد النسق اللغوي الحامل المادي لهذه الأنساق كلها.

ومن ههنا فإنَّ التفاعل بين اللغات يُعَدُّ سبيلاً للتفاعل الثقافي، لأنَّ النسق اللغوي يتضمن الأنساق الثقافية المُشَكِّلَة في مجتمع معين، فالتنوع اللغوي هو تنوع في الرؤى والتصورات والمفاهيم والخطابات المنجزة في ثقافة بعينها، فالتفاعل بين الأنساق اللغوية في المجتمع المتعدد هو تفاعل بين المضامين الفكرية والثقافية والحضارية بشكل عام.

يتعلق مفهوم التعددية الثقافية مبدئيًا بالتعامل مع المجتمعات غير المتجانسة، فالتعددية منظومة فكرية اعتمدتها الدراسات الاستراتيجية والسياسية الكبرى للتعامل مع واقع الأقليات اللغوية والعرقية والدينية في مجتمع الأغلبية، ومن جهة أخرى هي منظومة أكاديمية في حقل الدراسات السوسيو- لسانية والسوسيو- ثقافية تستخدم لتوصيف العلاقات بين الأنساق والفئات المختلفة في المجتمع الواحد (علاقة الأقلية بالأغلبية).

يكاد النسق الثقافي المعزول يكون منعدم الوجود، لأنَّه لا يستطيع أنْ يحافظ على بقائه. يقول ليفي ستراوس (٣٨)في هذ الشأن:" الثقافة الواحدة عندما تكون وحيدة لا تستطيع أنْ تكون متفوقة على الإطلاق شأنها شأن اللاعب المعزول(...) وليس هناك من ثقافة وحيدة، إنَّها دائما في تآلف مع ثقافات أخرى، وهذا ما يمكنها من إحراز سلسلات تراكمية". (٣٩)

أمسى التعدد اللغوي والثقافي مطلبًا حضاريًا " يهدف إلى الإغناء والدفع إلى التعدد الثقافي والمساواة بين الثقافات والشعوب ومشروعيتها والمحافظة على العادات والقيم الإيجابية فيها، وتغذية الفروق التي من شأنها رفع حظوظ الجماعات الإثنية في الحضور الثقافي". (٤٠)

لقد أكد الإعلان الصادر عن اليونسكو(٤١) في مؤتمر باريس (٢٠٠١/١٠/٠٢) على التنوع الثقافي واللغوي مشيرًا إلى أنَّ العولمة إنْ كانت في الظاهر تشكل خطرًا على الثقافات المحلية، في ضوء التطور السريع لتكنولوجيات الإعلام والاتصال، فهي على الرغم من ذلك تهيئ الظروف الملائمة لإقامة حوار مركز بين الثقافات والحضارات.

وكان التأكيد في هذا الإعلان على أنَّ التنوع الثقافي واللغوي هو تراث مشترك للإنسانية. ومن ثمة فإنَّ التنوع اللغوي هو من الضرورات الحيوية للجنس البشري كضرورة التنوع البيولوجي.(٤٢) ولذلك فإنَّ التعدد من حيث المبدأ هو تنوع وثراء واختلاف وتفاعل، لكن " ينبغي ألاَّ يكون عائقًا في وجه الانسجام الوطني، والارتباط باللغة الوطنية االرسمية، وعودة بها إلى التراجع والتقهقر وتسريب الهيمنة عبر مفهوم إيجابي".(٤٣)

رابعًا: الأنساق اللغوية والأنساق الثقافية: المقاربة اللسانية والمقاربة الأنثروبولوجية:

تعد اللغة من حيث هي ظاهرة ثقافيه قاسمًا مشتركًا بين اللسانيات والأنثروبولوجيا، وهو الأمر الذي يؤدي إلى تقاطعهما معرفيًّا ومنهجيًّا، فنشأ عن هذا التقاطع فرع علمي جديد يجمع بين المرجعيتين (اللسانية والأنثروبولوجية)،أضحى يسمى فيما بعد باللسانيات الأنثربولوجية(Linguistique anthropologique / Anthropological linguistics) .

مخطط توضيحي

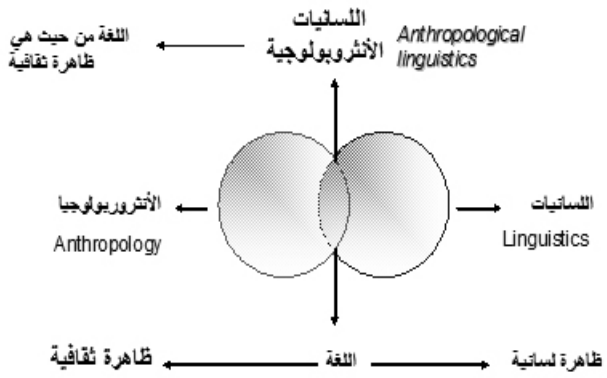

تُعَرَّفُ الأنثروبولوجيا العامة (٤٤)، عادة بأنها:

أ- العلم الذي يدرس الإنسان من حيث هو كائن عضوي حي، يعيش في مجتمع تسوده نظم وأنساق اجتماعية في ظلّ ثقافة معيّنة.

ب - العلم الذي يدرس الحياة البدائية والحياة الحديثة المعاصرة، ويحاول التنبّؤ بمستقبل الإنسان معتمداً على تطوّره عبر التاريخ الإنساني الطويل.

وتُعَرَّفُ الأنثروبولوجيا الثقافيه Cultural anthropology بأنها: دراسة علمية موضوعها الخصائص الإنسانية للمجتمعات البشرية، ومن أهم هذه الخصائص الثقافة (مجموع العادات والتقاليد والأعراف وأنماط الحياة لمجموعة بشرية معينة).

يعني مفهوم "ثقافة" Culture من وجهة نظر المقاربة الأنثروبولوجية الحصيلة الكلية للتقاليد والعادات والأعراف ونمط الحياة لطائفة اجتماعية تتميز بخصوصيات حضارية معينة.

أمَّا اللسانيات الأنثربولوجيةLinguistique anthropologique فموضوعها الألسنة الخاصة بالجماعات البشرية من حيث الخصائص الإنسانية للمجتمعات بخاصة المجتمعات التي تنعت عادة بالبدائية أو الفطرية، فهي تبحث في الصلة التي تربط اللغة بالخصائص الثقافيه للإنسان في مجتمع معين، إذ إنَّ الصلة بين اللغة وثقافة المجتمع تعد من الموضوعات الهامة لعالم الأنثروبولوجيا. وما كان ذلك إلا لأنَّ كل المجتمعات، سواء أكانت متحضرة (متطورة)، أم بدائية لها ثقافة، وأنَّ الحامل المادي لهذه الثقافة هي اللغة في بنيتها المتميزة. (٤٥)

يرتبط النمط الثقافي(٤٦) لأي مجموعة بشرية ارتباطًا وثيقًا بالنموذج اللغوي المتميز لتلك الجماعة، مما يجعل تقطيع المفاهيم وتوزيعها في ثقافة من الثقافات يختلف باختلاف الأنساق اللغوية،(٤٧) فقد لاحظ في هذا السبيل مدون المادة المعجمية (اسم) في الأنسيكلوبيديا في القرن الثامن عشر، أنَّ استخدام بعض الألفاظ التي تتفاوت في مدى تجريدها ليس بناتج عن قدرات ذهنية، بل عن

اهتمامات الجماعة الثقافيه(٤٨).

ولذلك نجد علاقة الثقافة باللغة الطبيعية تحتل مركزًا هامًا في المطبوعات الأولى لجامعة تارتو (TARTU) (الجمعية السيميائية – بالاتحاد السوفياتي سابقًا) حيث حددت الظواهر الثقافية على أنَّها أنظمة ثانوية مشكلة وفق النموذج اللغوي. (٤٩)

تعود هذه الفكرة في مرحلتها الجنينية إلى هاردر (HERDER) (٥٠) وهمبلد وغيرهما في أوروبا ، وإلى سابير ((SAPIR (٥١) في أمريكا. حيث يرى هؤلاء جميعاً أنَّ اللغة تحدد نظرة المجتمع للعالم المحيط بالإنسان الذى ينتمي إلى نمط ثقافي معين، كما أنَّ لها تأثيرًا في الطريقة التي يفكر بها أفراد المجتمع الذين يتكملون لغة متجانسة.(٥٢)

يرى سابير أنَّ البشر لا يعيشون في العالم المادي وحده، ولا في عالم النشاط الاجتماعي بالمفهوم العادي، ولكنهم يخضعون خضوعًا إلزاميًا إلى النموذج اللغوي الذي يحدد التكيف الاجتماعي في المحيط الثقافي.(٥٣)

ويؤكد أيضًا في مقام آخر أنَّ فصل اللغة عن الثقافة ليس بالأمر الهين، ويستعمل ههنا لفظ الثقافة بمعناها الواسع للدلالة على مجموعة التصورات، والتمثلات، والمفاهيم التي تشكل النظرة التي تكوِّنها المجموعة البشرية عن العالم المحيط بها.(٥٤)

لقد اقتفى ورف ((WHORF(٥٥) أثر أستاذه سابير، إذ كان تلميذه ومساعده في الإنجازات العلمية التي حققها في مجال البحث اللساني والأنثروبولوجي، فأفاد ورف من هذه الدراسات واستغل هذا الرصيد المعرفي في الدراسات الشاملة التي قام بها في الوسط الثقافي واللساني للهنود الحمر، فتوصل إلى مجموعة من النتائج العلمية، أصبحت تنعت فيما بعد بفرضية ورف Whorf hypothesis / Hypothese de Whorf :

يرى ورف أنَّ اللغة ليست في جوهرها وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل هي نفسها التي تشكل هذه الأفكار، فنحن نقسم العالم بناء على الإطار العام الذي يحدده النموذج اللغوي سلفًا.(٥٦) وقدم صاحب هذه النظرية أمثلة كثيرة من لغات متعددة لتأكيد فرضيته منها: نماذج من بنية الأفعال في إحدى لغات الهنود الحمر المسماة (HOPI) ، وقارنها ببنية الفعل في اللغة الإنجليزية فتبيَّن له بعد هذه المقارنة أنَّ نظرة كل من المجتمعين إلى الزمن تختلف اختلافًا جذريًّا. (٥٧)

يمكن لنا أنْ نقول في الأخير: إنَّ النموذج اللغوي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالنماذج الثقافية لمجموعة بشرية معينة، وبناء على ذلك فإنَّ اللغة عامل أساس في إضفاء الطابع الثقافي المميز على المجتمع؛ لأنَّ العلاقات الاجتماعية لاتتشكل إلا بواسطة النموذج اللغوي الذي يقوم بدور جوهري في مجال التراكم الثقافي، وانتقال النمط الثقافي عبر الأجيال.(٥٨) وما كان ذلك كله إلا لأنَّ اللغة تشكل جزءًا من الوعي الثقافي للجماعة، وهي تعد في بنيتها الجوهرية واحدة من أقدم المظاهر لهذا الوعي.

وتأسيسًا عل ذلك فإنَّ التصور الاستراتيجي للغة العربية هو في الواقع تنظيم نسق من الفعاليات الإلزامية المتكاملة في إطار الزمان والمكان؛ فهو إذ ذاك السعي المحدد والواضح من أجل تحقيق أهداف ورغبات محددة وواضحة المعالم .وهذه العناصر لا تكتمل إلا بتوافر رؤية آنية ومستقبلية تأخذ بعين الاعتبار البعد الثقافي للغة العربية. (٥٩)

لا يمكن لنا أنْ نحقق التنمية اللغوية الفاعلة والمنشودة إلا بالتعامل مع اللغة العربية بوصفها نسقًا فكريًّا وثقافيًّا من جهة، وقضية معرفية من جهة أخرى تنطلق منها التصورات والرؤى كلها من أجل ترسيخ القيم اللغوية والثقافية لدى المتكلم العربي، وتعميق المسألة اللغوية في وعيه الثقافي والحضاري، وتحسيسه بتأثير اللغة وفاعليتها في أي تنمية ننشدها، وفي أي مشروع ثقافي وحضاري نطمح إليه.(٦٠)

ومن ثمة فإنَّ حضور اللغة في التخطيط الاستراتيجي والنسق الثقافي للمجتمع العربي يعد تحولاً جذريًا في السياسات اللغوية العربية، ويعكس وعيًّا حضاريًّا عميقًا بضرورة وضع تصورات شاملة لحركية المجتمع بجميع مكوناته الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتربوية واللغوية. إذا تحقق هذا التوجه في بعده الشمولي، فإنَّ اللغة العربية ستجد لها حيّزًا يمكن لها أنْ تحتله بكل جدارة وأهلية واستحقاق في فضاء التنوع اللغوي والثقافي الذي أصبح حقيقة واقعية لا يمارى فيها ولا ترد.(٦١)

توصيات ختامية :

نورد ههنا بعض التوصيات التي يمكن لها أنْ تعزز المشروع اللغوي والثقافي في المجتمع العربي:

١- ضرورة التنسيق المحكم بين الدول العربية والمنظمات الثقافية والتربوية الفاعلة، لتبني مشروع لغوي /ثقافي عربي مستقبلي، يأخذ بعين الاعتبار الواقع المحلي والإقليمي والعالمي للغة العربية .

٢- استثمار العلاقات الاقتصادية، والثقافية التي تربط الأمة العربية بالعالم لتمرير مشروع اللغة العربية العالمية، وتعزيزه لعولمة اللغة العربية بأنساقها الثقافية والحضارية.

٣- استثمار المكانة السياسية والاقتصادية والثقافية للعالم العربي، وتأطيرها وفق سياسة شاملة لنشر الثقافة العربية، وتصدير برامجها، والترويج لها لتجد لها حيزًا يمكن لها أنْ تحتله بين الأنساق الثقافية العالمية.

٤- ضرورة إدماج المشروع اللغوي والثقافي العربي في الخطط الإستراتيجية للمؤسسات، وإصدار قرارات ومراسيم في هذا الشأن.

٥- توجيه الأبحاث والدراسات الأكاديمية في الجامعات العربية لترقية الدراسات اللسانية والاجتماعية والثقافية من أجل النهوض بالمشروع اللغوي والثقافي العربي.

هوامش وإحالات

١ - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (Alesco) الخطة الشاملة للثقافة العربية صيغة ١٩٩٦.

٢ - عبد الرحمن يجيوي، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،الدوحة (ديسمبر) ٢٠١١ ص ٣.

٣ . ينظر الرجع نفسه ، ص١١.

٤ - جان جاك لوسركل، عنف اللغة ، ترجمة محمد بوي ،لسانيات ومعاجم ، بيروت المنظمة العربية للترجمة ٢٠٠٥ ص ٢٠٦.

٥ - عبد السلام المسدي ، جريدة الرياض السعودية الخميس ١١ ربيع الآخر ١٤٢٦هـ - ١٩ مايو ٢٠٠٥م العدد ١٣٤٧٨ .

٦ - المرجع نفسه.

٧ - رولان بارت، درس السيميولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبد العالي ط٣ ، دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء المغرب ١٩٩٣ ، ص١٢.

٨ - المرجع نفسه ص١٢.

٩ - رولان بارت ، درس السيميولوجيا ، ص ١٤ .

١٠ - Friedrich Wilhelm von Humboldt (١٧٦٧-١٨٣٥): فيلسوف ، ولغوي ألماني.

١١ . Noam Chomsky، Aspects de la théorie syntaxique، p.٩.

١٢ ينظر الزواوي بغورة بين اللغة والخطاب والمجتمع مقاربة فلسفية اجتماعية ، مجلة إنسانيات ، عدد:١٧-١٨ ، ديسمبر ٢٠٠٢ الجزائر . ص٥١ .

١٣ - لتعميق هذه المفاهيم ، ينظر ، أحمد حساني، تفاعل الأنساق اللغوية في المجتمع المتعدد اللغات والثقافات،أعمال المؤتمر الدولي الخامس لكلية الآداب ، جامعة الزيتونة الأردنية (عمان)" التعددية الثقافية في اللغة والأدب" (١٧-١٨-١٩نوفمبر٢٠١٥) الجزء الأول من كتاب المؤتمر، ص ٢٩٥ -٣٣٤.

١٤ - ينظر، ابن منظور لسان العرب مادة (نسق).

١٥ - بعض الباحثين يستخدم مصطلح النظام مكافئًا لمصطلح(Système).

١٦- (Voir، Dictionnaire du français Larousse (Système.

١٧ - تبنت المعاجم والموسوعات الفلسفية لفظة نسق اليونانية Systema ، وعرفت الموسوعة الروسية النسق بأنَّه لفظة يونانية تعني " الكل المركب من الأجزاء ". الموسوعة الفلسفية موسكو ١٩٨٣ ص ٦١٦ . أورده سليمان أحمد الضاهر، مفهوم النسق في الفلسفة(النسق الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٣٠ العدد الثالث والرابع . ٢٠١٤ ص ٣٧٠.

١٨ - مدكور إبراهيم وآخرون معجم العلوم الاجتماعية ، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥ ص ٦١.

١٩ – ينظر، لالاند الموسوعة الفلسفية ترجمة خليل أحمد خليل منشورات عويدات بيروت ١٩٩٦ ج٣ ص ١٤١٧ أورده سليمان أحمد الضاهر، مفهوم النسق في الفلسفة(النسق الإشكالات والخصائص)، مجلة جامعة دمشق ، المجلد ٣٠ العدد الثالث والرابع . ٢٠١٤ص٣٧١.

٢٠ – Te Revised Press ;New York .Warren، A.C Dictionary of Psychology ١٩٤٣. p٢٢٧ أورده عبد اللطيف محمد خليفة، إرتقاء القيَّم – دراسة نفسية – سلسلة عالم المعرفة (الكويت) أبريل ١٩٩٢.ص ٣٠.

٢١ – ينظر المرجع نسه،ص ٣٠.

٢٢ –جورج فيلهلم فريدريش هيغل(Georg Wilhelm Friedrich Hegel) (١٧٧٠ – ١٨٣١) فيلسوف ألماني، اقترن اسمه بحركة الفلسفة المثالية الألمانية في أوائل القرن التاسع عشر .

٢٣ – هيجل ، تاريخ الفلسفة ص ٢٢٢.أورده سليمان الضاهر، ص ٣٧٧.

٢٤ – Voir Dr. hc. Guy TURCHANY La théorie des systèmes et systèmiques،p٤.

٢٥ – ينظر، عبد اللطيف محمد خليفة،إرتقاء القيَّم – دراسة نفسية – سلسلة عالم المعرفة (الكويت) أبريل ١٩٩٢.ص ٣٠.

٢٦ – Voir، Ferdinand de Saussure، Cours de linguistique générale. Edition critique préparée par Tullio de Mauro. Paris: Payot، ١٩٨٣، p١٢٥.

٢٧ – أحمد يوسف، القراءة النسقية – سلطة البنية ووهم المحايثة، منشورات الاختلاف،الجزائر،الدار العربية للعلوم. ناشرون بيروت ٢٠٠٧ ص١٢٠

٢٨ – إديث كيرزويل، عصر البنيوية – من ليفي شتراوس إلى فوكو –، تر: جابر عصفور، آفاق عربية، بغداد – العراق، ١٩٨٥ ص٢٩١.

٢٩ – سليمان أحمد الضاهر،المرجع المذكور سابقًا، ص ٣٨٤.

٣٠ – نيكلاس لومان، مدخل إلى نظرية الأنساق، ترجمة يوسف فهمي حجازي،ط١ منشورات الجمل، بغداد ٢٠١٠. ص٦٣.

٣١ – Sir Edward Tylor (١٨٣٢ – ١٩١٧) أنثروبولوجي أنجليزي يعد مؤسس الأنثربولوجية الثقافية.

٣٢ – أحمد أبو زيد ، تايلور، سلسلة نوابغ الفكر الأوروبي، ص٤٩.

٣٣ – ينظر ميكل تومبسون وآخرون، نظرية الثقافة، ترجمة علي سيد الصاوي سلسلة عالم المعرفة يوليو/ تموز ١٩٩٨ ص١٠.

٣٤ – زكي حسام الدين اللغة والثقافة ص ١٠٤.

٣٥ – المرجع نفسه، ص ١٠٥.

٣٦ – عبد الفتاح أحمد يوسف، قراءة النص وسؤال الثقافة – استبداد الثقافة ووعي القارئ بتحولات المعنى –، عالم الكتب الحديث، اربد (عمان) ٢٠٠٩ ص ٩١-٩٢.

٣٧ – نادر كاظم ، الهوية والسرد – دراسات في النظرية والنقد الثقافي –بيروت ،٢٠٠٦ ص٩.

٣٨ – Levi Stauss (١٨٢٩-١٩٠٢) باحث أنثروبولوجي أمريكي.

٣٩ – ليفي ستراوس ، مقالات في الإناسة، ص ٢٠٠٨.

٤٠ – عبد القادر الفاسي الفهري، اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد، أبحاث لسانية، المجلد ٤ العدد١-٢ (١٩٩٩) منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط ص ٢٤-٢٥.

٤١ – تنطلق منظمة اليونسكو من ميثاقها المبدئي الذي تم توقيعه في ١٩٤٥/٠٦/٢٦الذي طبق عمليًّا في ١٩٤٥/١٠/٢٤، وكذلك من دستورها الصادر في ١٩٤٥/١١/١٦ الذي جاء في الفقرة السادسة منه أنَّ أعضاء المنظمة يؤمنون بأهمية تطوير وسائل الاتصال بين الشعوب، وتوظيف هذه الوسائل للتفاهم والتعارف التام . وقد عبرت الفقرة الأولى من الدستور عن حرية تدفق المعلومات، وأشارت بدقة إلى أنَّ المنظمة من اهتمامها تنمية التعاون لتحقيق التعارف والتفاهم المشترك بين الشعوب باستخدام كل وسائل الاتصال الممكنة. ينظر يونسكو براس unesco presse، مكتب الخدمات الصحفية www.unesco.org/new/fr/media-services

٤٢ – ينظر، مؤتمر اليونسكو حول التنوع الثقافي باريس ٢٠٠١/ ١٠/٠٢ www.unesco.org

٤٣ . ينظر، عبد القادر الفاسي الفهري ، اكتساب اللغة العربية والتعليم اللغوي المتعدد، أبحاث لسانية ، المجلد ٤ العدد١-٢ (١٩٩٩) منشورات معهد

الدراسات والأبحاث للتعريب بالرباط ص ٢٤-٢٥.

٤٤ - الأنثروبولوجيا Anthropology مصطلح إنجليزي مشتق من أصل يوناني مكون من: Anthropolos: الإنسان و Logos: العلم أو الكلمة أو الدراسة ، فالمركب الدلالي للمصطلح هو علم الإنسان = علم الإناسة.

٤٥ - ينظر، ماريو باي، أسس علم اللغة، ترجمة أحمد مختار عمر،ط٢ عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨٣، ص٥٢.

٤٦ - قد يتبدى النمط الثقافي للغة في مضامين تعكس العادات والتقاليد والأعراف وسلوكات الأفراد وطريقة حياتهم وصراعهم مع الطبيعة،وكيفية تسخيرهم لها، وامتلاكهم آليات تكييف موارد الطبيعة واستثمارها وترقيتها لصالح الإنسان، ومهارتهم في اصطناع الوسائل التقنية وتطوير البحث العلمي، وهو الجانب التطبيقي والمادي للثقافة، وثمرة من ثمار النزعة النفعية، وذكاء شعب من الشعوب.

٤٧ - إن تعلم لغة أجنبية ليس معناه وضع علامات(sétiquette) جديدة للأشياء المألوفة لدى المتكلم ، بل هو اكتساب نظرة تحليلية مفارقة في إطار التواصل بالتعرف على البنى اللغوية الجديدة التي يرى من خلالها الواقع بطريقة مختلفة عن لغته الأم. ينظر André Martinet، Eléments de linguistique générale ، Armand Colin Paris ،١٩٧٠، p٩.

٤٨ - ينظر،كلود ليفي شتراوس،مقالات في الإناسة،ترجمة حسن قبيسي ،دار التنوير ٢٠٠٨.، ص٩.

٤٩ - ينظر، سيزا قاسم وآخرون، أنظمة العلامات (مدخل إلى السيميوطيقا)، دار إلياس العصرية، القاهرة. ١٩٨٦.ص٢٩٧ .

٥٠ - Johann Gottfried Herder (١٧٤٤- ١٨٠٣) كاتب وشاعر وفيلسوف ألماني.

٥١ - Edward Sapir ١٨٤٨ -١٩٣٩ باحث أنثروبولوجي - لساني أمريكي.

٥٢- ينظر،عاطف مدكور ، علم اللغة بين القديم والحديث ، ص٤٩ .

٥٣ - ينظر، المرجع نفسه، ص.٤٩ .

٥٤ - ينظر، ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة الحديث) مبادئها وأعلامها ، ص٢٢٠.

٥٥ - Benjamin Lee Whorf ١٨٩٧ - ١٩٤١ : لساني أمريكي.

٥٦ - M.i.t(Voir،B.lee Worf: Language ،Thought and Reality) ١٩٥٦.أورده نايف خرما أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص١٨١

٥٧ - ينظر،نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، عالم المعرفة ، الكويت ١٩٧٨.ص ٢١٧.

٥٨ - ينظر، ميشال زكريا ، المرجع المذكور سابقًا ، ص ٢٢٢.

٥٩ - عبد العزيز بن عثمان التويجري، ندوة الثقافة العربية وتحديات العولمة، مجلة التربية عدد١٢٨ (١٩٩٩) الدوحة،قطر،ص١٠٢.

٦٠ - ينظر عبد الرحمن يجيوي ، تنمية اللغة ولغة التنمية في الوطن العربي ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات الدوحة ديسمبر ٢٠١١ .www dohainstitute.org

٦١ - ينظر أحمد حساني ، ترقية اللغة العربية بين التخطيط الإستراتيجي والاستثمار المؤسسي، أعمال المؤتمر الدولي الثالث للغة العربية، تنظيم المجلس الدولي للغة العربية. بدبي (٧- ١٠/٥/ ٢٠١٤) المجلد الثالث ص ٧.